

مجلة فكرية عامة تصدرها وزارة الاعلام ـ بغداد

العدد السابع * السنة الثانية عشرة * نيسان ١٩٧٧

عدد خاص

الأدب القومي الأشتراكي

الاقلام

مجلة فكرية

عامة

تصدرها وزارة الاعلام - بغداد

رئيس التحرير - سامي مهدي

سكرتير التحرير - عبد الرحمن مجيد الربيعي

في هذا العدد

بين العلم والفن مرة أخرى

نوري جعفر

اود ان ابين ان تعقيبي هذا سيكون الاخير لانه يبدو لي ان الزميلين اخفقا في استيعاب وجهة نظر علمية ـ غير مستعصية الفهم ـ اوضحتها باسهاب في كتابين يقعان بأكثر من [١٠٠٠را] صفحة من القطع الكبير وبلغة عربية فصيحة [وبتكرار ممل على حد تعبيرهما]. ولهذا فان محاولة تلخيصها ببضع عبارات في مجلة ادبية هي ـ بنظري ـ نوع من العبث ومضيعة للجهد والوقت . كما اود ايضا ان اشير الى اخطاء مطبعية وقعت في تعقيبي السابق ارى ضرورة تصحيح بعضها :

القسم الايمن ص ١٤٩ : السطر ١١ : على [بدل: عن] .

س١٦: الجأ [بدل : اتى] . س٢٩ [ارجو حذف السطر بكامله] .

س٣١ : لا متساوون [بدل : متساوون] . س٣٣ اما [بدل : ان] .

القسم الايسر من الصفحة نفسها : س ١ـ٢ : وما ينطبق على الذكاء ينطبق ايضا على الابتكار . س ٥ : وهو [بدل : وهي] .

س٩ : يردعنا [بدل : دعنا] . س ١٠ : بل يدعمها . وأما .

س٢١ : وقعا فيه وفسرا . س٢٣ : منهما [بدل : منهما] .

س ٢٩ : انكلترة [بدل الكثيرة] .

يجمل بي ان أنبه الى ان المقال موضوع النقاش هو في الاصل تعقيب ضمني على مقال مسهب ترجمه الدكتور جابر عصفور عن الفرنسية ونشره في الاقلام . وان جوهر مقالي ينصب على الموازنة بين الفن والعلم في وضعهما الراهن ولا علاقة له بالقضايا التي اقحمها الزميلان ـ دون ان يستوعباها ـ في ملاحظاتهما .

اولا : كتب الزملان عني والغريب انه لم يشر في طول مقالته وعرضها ... الى عملية الابتكار حتى نتعرف على حقيقة ما قرره حول وجود عناصر مشتركة بين العلم والفن ... ان هذا النص المقطوع الصلة بالبحث قادنا الى كتابيه : « الفكر : طبيعته وتطوره » و « طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف » ... ومن المؤسف اننا عندما درسنا عملية الخلق الفني والعلمي فيهما لم نجد العناصر المشتركة .. ثم يستشهدان بفقرة

من احد الكاتبين تتعلق بتوضيح الاداة المخية المسئولة عن الابداع الفني والاخرى المسئولة عن الابداع العلمي ويقولان « نستخلص من هذا النص ان عملية الابتكار في الفن تختلف عن مثيلتها في العلم وذلك لان مكان الاولى المراكز المخية الحسية في حين ان مكان الثانية هو المراكز المخية اللغوية . ولا ندري كيف تجاوز الدكتور هذا الاختلاف ... ولا ندري ما هي العناصر المشتركة ... » اقول ان هذا الاستخلاص يثير الدهشة والاشفاق وذلك لان النص ليس مقطوع الصلة بالبحث بل هو في صميمه وتكون العناصر المشتركة لاعلاقة لها بالموقع المادي الذي تنطلق منه عملية الابداع الفني والعلمي . وهذا يشبه [لغرض التبسيط] عملية طهي الطعام [المشتركة بين صنوفه المتعددة ولا علاقة لها بالموقع الذي تحتله اداة الطبخ في المنزل . كما ان التحدث عن العوامل المشتركة لا يتضمن مطلقا نكران اوجه الاختلاف .

كما ان عملية الابداع الفني والعلمي هي غير الفن والعلم [انتاج : الحصيلة] : وهما ايضا يشتركان في بعض النواحي ويختلفان في نواح اخرى . وقد ورد ذلك كله في المقال موضوع النقاش . وقد اخفق الزميلان في ادراكه او تجاوزاه عن قصد . اما تعريف الابتكار فقد تحاميته توخيا للايجاز في مقال مقتضب [لا بالطويل ولا العريض] وذلك لتعدد وجهات النظر فيه . وقد استعرضت وجهات النظر المتعددة وادليت برأيي المتواضع في كتابي الذي نشر في الاسبوع الماضي باللغة الانكليزية

« الابداع وآليات الدفاع » .

ثانيا : وكتبا ايضا « فبعد ان اكد الدكتور ان التعبير الفني وبخاصة الشعري عن الطبيعة يحصل عبر الصور عاد يقول انه تجريد عن الظواهر الطبيعية ...

ولا ندري ماذا يقصد .. اننا نرفض ان يكون التعبير الفني تجريدا .. ولكي تتبين لنا الحقيقة سوف نرجع الى اصل الشعر ... فمما لا شك فيه ان الشعر يسبق النثر في وجوده ... »

اقول : ان موضوع الاسبقية لاعلاقة له بالموضوع . كما ان النثر ليس فنا بل هو ادب . اما انهما يرفضان الرأي الذي شرحته فذلك حقهما الشرعي . ولتوضيح هذه القضية اقول : ان الصور الفنية [قبل التعبير عنها] صور حسية تحصل في ذهن الفنان ثم يعبر عنها بصور حسية ايضا [رسم او نحت الخ] :

كما انها ليست بذات ارتباط عضوي بالناحية

الجمالية للفن وغير مقتصرة عليها . وفي الجهة الثانية فان نظرية الفن للجماهير لا تجرد الفن ـ كما خيل اليهما ـ عن جوانبه الجمالية وانما تدعو الى مساهمة الجماهير في الاستمتاع به وفي المحافظة على رونقه الجمالي وتطويره . وان دور الفن في الصراع والثورة لا ينتزع منه صفته الجمالية واناقته التعبيرية . مع العلم ان هذا الدور يرتبط بجوانبه الايديولوجية ـ وهي خارج نطاق مفالي موضوع المناقشة ـ وقد شرحت تلك الجوانب الايديولوجية باسهاب في كتابي الماثل للطبع « ساعات مع مكسيم غوركي » واشرت اليها اشارات عابرة في بحث مقتضب اعددته لمهرجان المتنبي عنوانه : « جذور الواقعية الاشتراكية في شعر ابي الطيب المتنبي » .

ثالثا : تعرض الزميلان للمصادر التي ذكرتها في اخر المقال واستغربا من ذكر كتاب ديوي بالانكليزية [مع انه مترجم الى العربية] وكوني وضعته مع ثلاث كتب سوفيتية قالا عنها ـ دون اطلاع ـ « وبالتأكيد فان المنهج والمعتقد الفكري للكتاب السوفييت يختلف عنه لدى جون ديوي » .

اقول : ان هذا الرأي يصح فقط في الامور الايديولوجية وفي وجهة النظر الطبقية . وقد فاتهما ذلك . كما فاتهما ايضا ان المواقف في القضايا غير ذات الطابع الايديولوجي [الطبقي] متماثلة الى درجة التشابه : يصدق هذا في العلم كما يصدق في الفن . فليست هناك فيزياء او رياضيات سوفيتية [اشتراكية] واخرى امريكية [رأسمالية] ولا توجد تكنولوجيا اشتراكية لصنع السفن او الطائرات مثلا واخرى رأسمالية . وفي موضوع الفن حبذا لو قرأ الزميلان الكتب الاربعة المشار اليها ليجدا نقاط الالتقاء .

رابعا : وكتبا ايضا « لقد وردت خلال مقالة الدكتور افكار ذات شأن غير انها ليست جديدة بالنسبة للفكر العالمي » مع انني لم اقل انها جديدة حتى بالنسبة للفكر العراقي . واستشهدا بفقرة من كتاب ريجارد [او رتشارد على الطريقة المصرية] غير ذات ارتباط بالموضوع . واوردا عبارة اخرى تتعلق بعجز اللغة عن نقل المشاعر واعتبرا رأيي فيها مأخوذا من ريجارد دون الاشارة اليه ، وقد فاتهما ان هذه القضية متداولة ومعروفة وهي اقدم من ريجارد وتعود جذورها التاريخية الى ارسطو .

وفي الختام : حبذا لو اطلع الزميلان على ما يسميه علماء النفس « الانتباه اللزج » ليتجنبا اثارة قضايا فكرية اكبر من حجمهما مازالا بعيدين كثيرا عن الاحاطة بها .

مع التقدير والاعتذار للاقلام وللزميلين الكريمين .